بموقفها هذا تتصدى لما تسميه اللاسامية الجديدة . وسنحاول فيما يلي ان نعرض الملامح الرئيسية للنزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونيتين ، منذ نشوئها وحتى اليوم ، وهي ملامح تبدو كافية للاثبات ان قرار ادانة الصهيونية ، الذي اتخذته الامم المتحدة ، كان قرارا عادلا له ما يبرره .

تحت تأثير الاستعمار

رغم ادعاء دعاة الصهيونية وبعض مؤرخيها ان حركتهم « عريقة » وتكاد تضاهي في قدمها قدم اليهودية نفسها ، وذلك من خلال الاشارة الى الحركات الدينية التي كانت تظهر بين اليهود من حين لاخر ، في هذا البلد او ذاك ، داعية اياهم للعودة الى فلسطين (« ارض ــ اسرائيل » حسب التعاليم الصهيونية) ، فلا بد من الاشارة اولا الى ان الحركة الصهيونية ، بعقيدتها ومفاهيمها الداعية الى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، نشأت وتبلورت بين يهود روسيا واوروبا الشرقية خاصة ، وبعض يهود دول اوروبا الغربية ، خلال النصف الثاني من القرن الماضي ، دون ان تكون لها علاقة موضوعية واضحة مع المحاولات التي كانت تبذلها بعض الفئات اليهودية للعودة الى فلسطين والعيش بالقرب من الاماكن اليهودية المقدسة فيها ، من خلال نزعات دينية صرفة ، وكذلك دون ان تكون لها علاقة مع الدعوات التي كان يطلقها بعض الكتاب المغامرين من غير اليهود ، مقترحين اقامة دولة يهودية في الشرق . واذا اردنا تحديد تاريخ معين لبداية نشاط الحركة الصهيونية ، التي انجبت دولة اسرائيل ، ولا تزال تعمل حتى اليوم علنا بين اي فئة يهودية ، وفي اي دولة يسمح لها بالعمل فيها ، وسرا في البلدان التي لا تستطيع مزاولة نشاطها شرعيا فيها ، يمكننا ان نشير الى العام ١٨٦٢ ، عندما نشر ــ في العام نفسه ــ كتابان لمؤلفين يهوديين ، لا علاقة لاحدهما بالاخر ، يدعوان الى حل المسألة اليهودية ، التي تأزمت في اوروبا وقتها ، بواسطة اقامة دولة يهودية في فلسطين ونقل اليهود اليها . والكتابان هما « دريشات تسيون » (بحثا عن صهيون) لمؤلفه الحاخام تسفي هيرش كاليشر و « روما والقدس » لمؤلفه موشي هس .

بقيت آراء كاليشر وهس حبرا على ورق خلال العشرين سنة المقبلة ودون ان تبذل اية جهود جدية لاخراجها الى حيز الوجود ، عدا محاولتين محدودتين ، قامت باولاهما جمعية الاليانس اليهودية الفرنسية التي استطاعت ، سنة ١٨٧٠ ، اقامة مدرسة زراعية لليهود في وسط فلسطين بالقرب من يافا ، اطلق عليها اسم « مكفيه يسرائيل » وذلك بهدف مساعدة يهود فلسطين على الانتقال الى حياة العمل الزراعي المنتج ، ونفذ الثانية اليهودي البريطاني الثري ، السير موشي مونطفيوري ، الذي استطاع اقامة عدد من المساكن ليهود القدس خارج اسوار المدينة المقدسة ، بهدف التخفيف من ضائقة سكنهم وكمقدمة لتحسين اوضاعهم عامة . ولكن هذا الوضع تغير مع مطلع الثمانينات من القرن الماضي ، عندما ادى اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني عام ١٨٨١ من قبل جماعة من الثوريين الروس ، كان بينهم احدى اليهوديات ، الى قيام حملة منظمة من المذابح والاعتداءات ضد اليهود في كافة انحاء روسيا ، وبولونيا ، التي كانت خاضعة وقتها للحكم الروسي (وكانت اغلبية اليهود في العالم تعيش وقتها في تلك البلدان) . وجاءت هذه المذابح والاعتداءات بمثابة تتويج للاجراءات والقيود اللاسامية التي فرضتها سلطات روسيا القيصرية على مواطنيها اليهود من جهة ولانهيار اسس حياتهم الاقتصادية ، بعد ان قطعت حملة تصنيع روسيا وسيرها على طريق النمو الرأسمالي شوطا لا بأس به من جهة اخرى ، مما ادى الى قيام حملة هجرة واسعة بين اليهود ،